عباس بيضون

أشقاء ندمنا

دار النهار

أشقّاء ندَمِنا

عباس بيضون

أشقّاء نَدَمِنا

© دار النهار للنشر ش م ل، بيروت ١٩٩٣
جميع الحقوق محفوظة

شارع روما، بناية فارس
هاتف: ٦٩٩ ٣٥٣ ـ ٦٩٩ ٣٥٤
تلكس: NHRPS ٢٠٤١٧ LE

الی آه

الغريب والمانيكان

(١)

ألمطر يسقط أخرسَ على ليماسول
ألمطرُ يسقط دافئاً على ليماسول
رؤوسه الطريّة تتدحرج على البلاط
شجرةٌ تبتلع فؤوساً ذهبية
غيومٌ كبيرة على ظهر الكنيسَة
والسماءُ عديدة فوقها

لقد احترقَ الخبز
ومن قليل
صار بخوماً في المقلاة
وعليّ أن أُخرِجَ
اللحم المتفحّم في الفرن
لكنني أؤثر أن أنتقل
بين جورتَين في الطابق الثامن
أو أقفَ مبتسماً
أمام مصعدين مفتوحين
ناديتهما من أسفل الشارع
ثلاثُ شجرات
نعبر منها إلى القبابِ الثلاث
وهذه المرأة التي طوت يديها
أمام الكنيسة

تصلّي أو تفكّر
بأنها باب الكنيسة الحقيقي

ألمطرُ يسقط أخرسَ على ليماسول
حملانه تخرّ على الزجاج
ألعاصفةُ تركت ريشتين
على سياجِ الشرفة
قبل أن تهوي
في بئر المصعد
إنني أتنفّس بصعوبة
حيث رُدِمت تماماً
وكل هذه الضجّة التي اختفت
تماماً
في سريري
تتحوّل إلى صمت كبير أبيض
للملاءات والستارة

ألحساسينَ تحترقُ بالعشرات
داخل الشجرة
وأنا أحلمُ بإمرأةٍ
لا أرى سوى سواد شعرها
في هذا النومِ الذي سبقني إليه
السقفُ والكتَاب

أحلمُ بإمرأة
لا أرى سوى طاقة شعرها
مكان القبّة والشجرة
مكان الكتاب والسقف
تبتسمُ وتشير
من إكليل شعرها
إمرأة
لم يصل سوى ابتسامتها
والضوء المرفوع عن وجهها
سوى تنفّسها الذي ينقّي الحُجُرات
ونومِها الذي يحوم حولي
نديًّا متساوياً
كأنّه سَهَرٌ آخر.

(٢)

إمرأة
ربما كانت مانيكاناً في الصباح
تقفُ طاوية يديها
بين شجراتٍ خمس، طيورُ الكنيسة
كانت أيضاً تخرج من شعرها
ربما كان مانيكانُ شجرة
إلى جانبها
«من قليل كنت أسابق دواري
وأنا أنحني على الكتاب
أجتهد أن أكون ــ في قراءتي ــ
أسرع منه
لكي لا نلتقي مرّة واحدة».
بيتُ الكاهن في ظلِّ الكنيسة
أولاده وأحفاده يأكلون أمام الدار
ربما نزلوا من القبّة النائمة
إمرأةٌ تقف طاوية ذراعيها
أتساءل ماذا ينقصها لتصبح مانيكاناً
أقول نادراً ما يلتقي شاعر ومانيكان
لكنَّ الغرباء يصادفونهم كثيراً
أذكر أنني شاهدت في غزوما
مانيكانات شبيهين بالآلهة

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

يختلطون بالسوّاح
كنت أساهر سكّان القترينات
أراهم يجتمعون كعمّالٍ مهاجرين
حول إمرأة
لها جبينُ إمرأة فقدتها
في هذا البلدِ الذي لا مجالَ فيه
لزراعة الأمطار
في هذا البلد الذي تختفي أمطارُه
وحيث شعر امرأة
هو شجرتي
إمرأة طاوية ذراعيها
بين شجراتٍ خمسٍ
ربما كانت
مانيكانَ الكنيسة نفسها.

(٣)

أفضّل أن يهبطَ المساءُ
وأنا في الشارع
أنظر إلى اللّيل
وهو يحجّر الكاتدرائية
وأشاهد فحمة أول الليل
تسقط في حجرتي
أسيرُ والشارع
يلهث من الظلمةِ
التي لم تسْودّ بعد
إنه يهرب أمامي
وأنا أملأه بضربات قلبي
التي يتردّد رعدُها الأخرس
على طوله

أقفُ قليلاً
وأرى أربعة أزقّة
ترتجُّ تحت المصباح
ورجلاً وإمرأة
أطردهما كفكرة
إلى آخر الممرّ
أكْشَحُ غيرهما

أشخاصاً أكثر يأساً،
أمطاراً تختفي،
ذكريات
وحده ذلك الغاز في رأسي
خفيفٌ أنا الآن
وجبيني ينبسط كحافّة
أكاد كل لحظة أسقط عنها
أقف تحت (زاكو بلدينغ)
وأتطلّع إلى أعلى
تلك حياتي لا تزال هناك
وأنا آمل أن تكون تلك الصرخة
التي انْدلَعَتْ
منها
وأن يخرجَ من الشرفة
دخانٌ نقي
أفكّر أن زلزالاً
مرّ بقربي
واختفى بين البنايات
وأقول مِنَ الجميل
أنه لم يخترقني أيضاً
أقول مِنَ الجميل
أن يتركني نصفين
رجلٌ وابنه

رجل وشجرته
بين خمس شجرات أُشيرُ
إلى بيت الكاهن
دكان الأرمني
البار
أبتعد قليلاً وأشير
إلى سوق الخضار
ألبريد
كشك التليفون
إنني أنزعها قشرة قشرة وأتابع
أكروبوليس
الروند أباوت
توريست إيريا
تقفين جميعاً
تحت تهديد القبّة العالية
وتحت دوران العصافير
من يأمل أن يراني
بصحبة مانيكان
نزرع الأمطار في الناحية
نفترق على موتورسيكلين هائلين
برأسين كبيرين لأمطار عملاقة
وأن نرتفع هكذا
ــ أخوين بالمصادفة ــ

إلى السماء.
خمس أشجار
وجيش من المانيكانات
وأنا أحلم بأن أحفر تحت القبب
لأجد جذورَ الشجرة
والنظام الثلاثي
الذي تعيش تحت تهديده
من يأمل أن يراني
أصعد إلى الطابق السابع
لأنقذ جاراً من حياتي
ولأقلب ذلك الهامد فوق سريري
على وجهه
ففي ساعات
لا يعود في عينيّ سوى الهواء
والعدد
في ساعات
يتوقّف كلُّ شيء
على أن يطاوع جسدي الدوار
الذي هو جزء مَنْسِيّ فيّ
من القمر نفسه
لذا أحلم أحياناً
كإمرأة طاوية ذراعيها
بأن أدخل من الشجرة إلى الكنيسة

من إمرأة إلى حجرتي
ولا أرجع لأفتقد كلّ يوم
الخطوات الكبيرة
التي طبعها قلبي.

(٤)

أفضّل أن تهطلَ
وأنا في الشارع
وها يرفعون الأمطارَ المقلوعة
ويرمونها إلى الأعلى
في الشروق المفتوح على البحر
إنه وقتُ تذرية الأمطار
قطراتُ كبيرة على الزجاج
كوجوه مقلوعة
من ذاكرتي
إنه وقت تذرية المطرِ
البذور التي هطلت هذاالصباح
اختفت عن الشارع
إنه وقت تذرية المطر

ليماسول ١٩٨٨

بريد الخطوات

صيف وخريف ١٩٩١

الصمت والدم

رأسٌ مصنَّف
وزهرية خالية من الورد
لم يعد في ماء القنّينة
المتروكة مفتوحةً من أمس
سوى قليل من الحياة
ألقماشُ الأسود
لا ينقشر عن كتفيها
والصمتُ أكثر من الدم
في هذا العنق

لم أقل شيئاً
دعيني من تقليم أصابعك
نسيتُ قليلاً من الصابون خلف الأذن
لكنّكِ بالتأكيد
لم تنسيْ تحت ثيابك
خيطاً واحدًا
وأنت تتعجّلين

تنظرين
ولا يُخشى أن يشتعلَ كتابٌ
أو أن تزيد قوة المشروب

في الكأس
كان هناك فقط سير هذه الرموش
وقوّة حجرها
وهي تمرّ من جانبي
وجانب الآخرين
لم يكن هناك مرآة دموع
بل فسيفساء محترقة
لا مطر
لكنْ مثلّثات حريرية
تجفّ دون ضجّة
نظراتكِ التي لا تنكسر
حروف مسَّكنة.

صلاةُ الخيطان المهملة

حسّ صغير يوسوس قربي
سابقاً بذلك شيئاً أصغر
يولد في التو
ربما ليس سوى ضجّة أسناني
من عذاب اللقمة تحت الفكّ
ومن عذابٍ أصغر أيضاً
كسرة حرف
أو ما يتسرّب من القارورة المشقوقة
ثمّة نبسة مودّعة
في قرارة كلّ نسمة
رسائلهم لا تزيد عن هذا الحدّ
ونسرع إلى الشفاء منها
هكذا أيضاً
تلك الورقةُ البيضاء تماماً
التي وصلتني بعد أعوام
بين صفحات كتاب موروث
تفسّخ حالما فتحته
أو الرضوضُ
التي تحمرّ ثانية في الخريف
إذ أشعُر جواراً يكاد يتكلّم
كلما نظرت

إلى الدم الناشفِ تحت الظفر
تلك تحيّة
لا ننوي إرسالها
لكننا بتحيّة جليلة كذلك
نلقي الفضلات عن المائدة
وقلّما نأوي إلى الفراش
قبل أن نضع المصلوبَ
تحت الوسادة
نصنع ذلك بالعجينة التي خبزناها
على هيئة صبيّ
ونجد مكاناً دافئاً للفتيلة
وقد ننتظر
أن يتجسّد شيءٌ من الصمت
الذي يتكاثر
حتى على طرف المكنسة
ليس هناك من ينضم إلينا
في هذه اللحظة
التي هي أيضاً
صلاة الخيطانِ المُهملة.

تقصّين رموشاً طويلة سوداء

تقصّين رموشاً طويلة سوداءَ
من الهواء والحجرة
أو تحوّلين جبلاً من الكتب
إلى خيطان مخرّمة
رأسكِ مصفّفٌ مسرّحٌ جيداً
حيث لا يمكن لشعرةٍ أن تخون
مدهون
بالزيت نفسه لَمَّعْتِ أظافرك ومقصاتك
التي لا تزال لمعتها
وشفراتها أيضاً
مخفية
في خِصلكِ
أصابعي تمشي فيها بخوف
كلما أمسكتُ ببصيلاتها
وفقدتُها في يدي
هناك ندمّر
كلما مشينا
الشعرات الناضجة
التي توشك أن تلد

أعدّها بأصابعي تقريباً

(حين نأملُ أن لا يكون ميزانُ الحرارة
إنكسر في العلبة
والزجاجات لم تتهشّم في الصناديق).
أمسّدُ شعرةً في الليل وأنساها
وأتابع بيدي
كمن فقد كسراً ما
أو أضاع ثنيةً
في جسده
وقد يحدث أن أقلب بعيني
قليلاً من الظلمة
كأنني أسوّيها
أن أقول شيئاً ما
أو أسحب كلمة من هناك
قد يحدث أن أفكّر في الكتاب
الذي نشلته من الماء
وانتفخت صفحاته بعد جفافها على السطح
أو في الحياة الطويلة
للكتب التي هجرناها

شبر قلبي

تخطرين لي فجأة
من على الزرعِ
أو رقع الأمطار
أنت في شبر قلبي
في الفكرة القريبة من الشارع
لا تتعذّبين
إسمكِ وحده يتعذّب
وربما يُجْلَد
في القيعان المظلمة
طلقةٌ أنتِ في السفح
دمكِ كلُّه هرب إلى نسيم الضفة
وشعركِ أيضاً
كان شبهة هذا السهل
والإبتسامة التي تتدفّق في الماء
دمُ على حافة المصباح
حين لا تعودين وسط غنائك
ولا تحتاج السماء إلى عصفورٍ طنّان
لتبدي أمارتها
بلا سبب
هذا الحجر كلوزة أو قلب
بلا سبب السماء وحدها

بدم قديم
عقدنا بين خطواتٍ وطيورٍ
بين نجوم ورضوض
لكننا خسرنا دموعنا بأسمائنا
وحين بَطُلَ جسدك أن يكون ظُهراً
كنت طلقة
وكانت بلا عينين
النسمة التي حرّكت المصباح.

غرفة الحافّة

أنأى الحجرات
غرفة الحافّة
شبيهةٌ بقمرة
أو علبة بريد
ليس سوى أغراضِ غرفٍ أخرى
انتقلتْ إلى هنا
إنها سهرة مع عابرين
نصف سيجارة على الصحن
لِنشْعله من جديد
مشط لِننظّف أسنانه
ربما نحن نسينا ذلك
أو هي سائحة أخرى
«هل نجد أيضاً إذا نبشنا في السلّة
قبّعة قشّ ونظارتين ومايوهاً أزرق
ربما رسائل أودعناها لأنفسنا
أكسر السيجارة
وأقدّم نصفها لك
ليس طقساً ملائماً لأول المساء
لكنه مع ذلك رمزُ القبلة
ولم نحمل أزهاراً لفرط حيائنا
بل تركنا في الصالة كأسينا

وهذا العطر الذي تشرّبته من عنقك
على الباب
ضعيف الحشاشة
وسيختفي قبل أن ننتبه

زجاجات المشرق

خيرٌ لي
أن أنام تحت نظّاراتي
أن أتقدّم على مهل
تحت جفني
لا يكمل أحدٌ معي. . .
حتى ذلك الصليب
الذي خلّصنهُ منذ هنيهة
البلور ثمين في هذه الوحشة
وتلك الزجاجات التي حملناها معنا
من المشرق
لم تحتمل أبصارنا
بينما أنزع ساعتي من يدي
أخلّص نبضي من هذا التنصّت
ما من قرين
لدمي ولا قلبي.

بريد الخطوات

في أصغر الحجرات
هذه الفتيلة
تطردني خطواتكِ إلى هنا
يتعقّبها سمعي كالكلب
وأنا أصغي
إلى أن أفقدَ أثرها على الطرقات
أقلب يدي
أحاول أن أصنع بأصابعي سرًّا
أغمض عينيّ
أصنع بوجهي المغمّض طقساً
خبزاً أو قناعاً
أسبَح تحت نَفَسي
خطواتكِ شبيهة بالصمت

بهبوط الطحين على الإسفلت
الباعة ينقلونها في أصواتهم
العربات تحملها إلى أن تختفي
إنها بريدي
ولن يكون لكِ مع ذلك
أكثر من هذا الصدى
حين تخلعين ثوبكِ

وحين يكون لك وجه خطوة
لا تتمهّل على الباب.

أمارة الشجرة

تنهضين عن كمانك
وتعودين إلى لاعبيك
بينما النبيذ يُحَبْحِبُ في النار
وكذلك الدموع
تستسقينني ولا أمنع قارورتي
وكنتِ سَفَحْتِ كأساً
تحيّةً لهذه الشجرة
التي جلستِ عندها
ولم أهتد إليكِ بأمارة أخرى
كان عليَّ أن أسرج جسدي
وأرفع فتيلته
لأوازي الغصنَ
الذي لم يكد يشتعل

حين فقدنا الأمارات كلها
ولم يبق سوى تلك التحيّة
في شقّ الوقت
كان شقُّ الفجر نفسه
على وشك الطلوع

تجاوُر وجهين وافتراقُ يدين

إنصرافُ وجهين ولقاءُ يدين
فرجة لا ترى
لكن تسليم الجسد
ليس أقل خفية
والأشجار مستيقظة
عند تسليم الفجر.

محطّات هروبهم

ولن تصلي من طريقٍ أقل خطراً
لكنَّك تصلين
بالية قليلاً
تضعين حقائبك على الباب
قبل أن تحيّي
ولن تصلي
قبل أن أفتقدكِ قليلاً
وقبل أن يهرب شيء من وجهكِ
في هذا الطريق
الذي كان محطات هروبهم.

مَشْيتِ على نَفَسك

تصلين بلا خطوات
كأنك مَشَيْتِ على نَفَسك

خيطٌ في كتاب

مع ذلك أنتظر خيطاً في كتاب
رسالة من نفْسي

الطّالع

في الزجاجات التي لا تُخفي شيئاً
كنا نأمل أن نجد طالعنا
وأن تكون السعادة وحدها
بلا سرّ
ألنصف البارد جالبُ الشفاء
الأحجار التي تداوي الجروح
وهذا الجسد البارد بدون قطرة
- حيث ينعش أكثر
ملمس الحلى والبلّور -
ينام بين هواء عدة حجرات
ليحفظ اعتدالَه
الزجاجات النظيفة
وكم أكره أن أتركها
فاترة منّي.

بقشيش وذكريات

يقلب المطر خطآك
وتهمد فجأة
إنها في الغيبة
لا أسمع الآن حسًا في مرفقي
لا في الساعة
ولا سمّاعة التليفون
هكذا تنقطع رسائل المفقودين

(ربّما لا تزال تحت مكنستكِ
أو غسلتِها بالماء الكثير
الذي تسكبينه في حمّامكِ
ربما فقدناها
ونحن ندورُ بين الغرف
حين كرهتِ أن تريْ آثار ليلتنا
في حجرة الفندق
وكنت توزّعين البقشيش والذكريات
على الخدم)

غرف لحماقة واحدة

تعزّمين في ثيابكِ الواسعة
التي صَنَعْتِها
لتكون غرفاً
لأنَّك صُرعتِ بذكرى واحدة
بعد ذلك
ماتت عصاكِ

هذه الحياة التي لم تكفِ لنهرين
ولم تكن
سوى عمود المديح الأول
لأن نهاراً شُوي كأنسان حيّ
وحماقة أُكلتْ
قبل أن يظهر سرُّها
وكانت هناك أيضاً
الحياة الطويلة للجيران والمتسكّعين

تعزّمين في ثيابك الواسعة
لأنك صُرعتِ بحماقة واحدة
ولأنك ربّيتِ خصلك الطائعة
كما ربّيتِ أظافرك.

أربعُ أصابع وشفاهٌ جافّة

يُرضينا الآن
أن نزيح كلب الصّوف عن سريره
ونلقيه مهدّماً على حوافي الأثاث
أن نُخرج المناشف من تحت الوسادة
ونُعَنْون المنضدة والأريكة
أن نصنع روزنامة للظلام
ثم نكسر هذه الشمعة بيننا
نكسر أصابع أربعاً وشفاهاً جافة
ونَحْذَر أن نطفئ هذا الصوت
أن نفقد النكهة
التي ربما فاحت في الجوار
أو تنشّقناها بعد أن عَبرتْ.

تفّاح الغرباء

نجد وُريقة خريف
مكان الجسد المنتقل
جريحة كيد
وحده اخضرَّ
مفتاحُ الحديقة
والركبة التي اصطدمت بالباب

نسمة وحيدة
لا نحسن أن نلحقها
إلى القاع
ثم نستيقظ
وما من دمغة زهرة أو كأس
ولا يكون لنا
طراوة من غودر في الحب
جاء الربيع
ولم يكن سريعاً
لكنّنا ما عدنا نرشق بتفّاحنا
رؤوسَ الغرباء

ليس لي ما أتختّم به
سقاني هذا العنقود

خَرَساً ونعاساً
أقلب كلمة الأمل
وأحشو بها إبهامي
قبل أن استلم كفاً مبلّلاً
من الدالية.

إصغاء

أصغي إلى غرزات المطر في الشارع
دعساتكِ
وهي تتخلّص من السوق
وتتبدّد في رقع الماء
صدىً ضعيف يعذّب سمعي
لا أسمعه
إنه نواحُ الصمم
ربما هو سرعة الشارع في نبضي
أو دبيبُ النهار
لا أتعقبه
يدفعه خفقاني إلى أعلى
ينتقّل في أفكاري
أو يبيّته دمي لي
لا أتعقّبه
لكني أنظر إلى ساعتي
أعرف لصوصاً كثيرين
يقيمون فيها

صدى ضعيف يعذِّب سمعي
ليست حشاشة العطر أقلّ ضعفاً
ولا لفافات المكتب

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

بحذائين خفيفين وشمعة وحيدة
أبدو آتياً من المطر
أسمع نبضَهُ
أمسّده بأصابعي
كشعركِ الذي سَحَقْتُ بصيلاته هذا المساء
يدي تقطر منه
«يا لسلاطة عينيّ»

صدى ضعيف يعذّب سمعي
وليس فكرة فأخاف منها
هوذا شعركِ يطير كلّه هناك
ولا أستطيع أن أرتق طاحونة المطر
لذا تصلين شاحبة
وسأتعب لأسوّي خصلاتك
لا أسمعه
إنه صوت إصغائي وحده
وأنا أمام النافذة.

الأجنبيَّة

ليست لك تغتغات الفرو
ولا صيحة القبرات أيتها الأجنبيّة
مع ذلك تخاطبين طيراً صامتاً
في ذلك القفص
الذي غطّيته بالقماش
تقولين سرّي هنا
نقطة ماء الورد في سالفي
وكنت أعلم أنّه ليس في الثوب
الذي جلدتهِ ثلاثاً
وأمرتهِ أن يبقى في الأرض
سرّي في وجنتي
تطيّبين جسدك بالرحيق
الذي طيّبت به شرابك
وتهبطين بجسد ترمّل في الغيتو

لا أُحسن أن أزنَ خطوتي الأولى
ولا الثانية
تلك كبوات لساني أيتها الأجنبيّة
وليست كثيرة ككبوات يديّ
لغتي عسراء كعناقي
مع ذلك لك صداحك

ونقلة صندلكِ
بهذا الجبين الذي ترمّل في الغيتو

تغطّين على الطير الذي صمت في القفص
وعلى الصيحةِ
التي نفذت من ريش قبعتكِ
لكنَّ يدك جريحة
أيتها الأجنبيّة
وأنتِ تداوينها بالإكسير
الذي أصلحتِ به آنيتك

جرح الزجاج

أنتظرُ في أصغر الحجرات
على أصغر الأسرّة
لست عقلة الإصبع
ولا صبي العجينة
لكنني أفكّرُ بذلك الجرح
في زجاج نظّارات جدتي
وطالما نسيتُ نظري
في قاعهما البلّوري
يختفي الجرحُ من أمامها
حين تنظر فيهما
لكنه يعذّب بصرها من وراء المشهد
ضعيفاً متلاشياً
كأنه يرقص في خيال عينيها
كانت تترك نظرها أحياناً
ينام في داخله
وأنا أتسلّى بالنظر إلى شعرة الضوء
المنسلّة من بصيصِ القفل
وأرسلُ خيط بصري الرفيع
في فتحة الإبرة
أريحُ عيني في فجوة ثقبٍ
وربّما أتركها تنام هناك

تتوقّف عيناي في سماكة الزجاج
كأنّما أتأمّل في لبّ حدقتي
ما الذي رأته الجدّة؟
حين انحنت على الزجاجة
حبسة لسانها أم بصرها
تلك القطرة التي لا غور لها
والتي شُنق صوتها فيها
تلك النظرة التي لا جفون لها
نظرةٌ بعد الظُهر
نظرةُ الكلب الذي طارد طيلة النهار
دعسات تختفي فجأة
أو المرأة الباقية على صندوق
لا يتحرّك شراعه إلى أي مكان
أم السأم الذي يحتاج وجهه
إلى عيون وشفتين
ليبدي اعتذاره
ماذا رأت الجدّةُ
حين انحنت على الزجاجة
ما الذي رأيتُه في سماكة الزجاج
حين قَلَبتُ الوسادة
على وجهها (وجهي) الآخر
كانت هذه الحبسة
وحدها على الوجه

وما أسرع ما زالت
ما من عنب مدوس هنا.
لكن كل رائحة فاكهة غير مسمّاة
فانية تماماً
أم أنَّ من هذه اللفافات الضعيفة
ولدت قوّة هذا الترمّل الفظيع
التي لم نحسن إخراجها
رغم فتح النوافذ في الحجرة.

عطرُ الطريق

تصلين ووجهُكِ رطب بالعرق
الذي سينشف
قبل أن تتكوّن حبيباته
آخذ منديلكِ
وأشمّ تحت خصلاتكِ
ذلك العطر الذي فقدتِه على الطريق
وربما أشمّ الطريق نفسه
حين لا نرى في انكماش الجبين الخفيف
والعينين المزويتين
سوى ناصية الشارع.

النواة

وإذ ترسلين هذه الشجرة عن رأسك
عارية كإجاصة على حافّتها
جسد من نواة واحدة
ثوبُك مفروش على الأرض
وكالطريدة وقف شعركِ وشفتاكِ
هناك
تسلّمين أقراطك وأصابع حمرتك
غلالك
بالجحود الذي غسلتِ به
صباغ أظافرك
وما أسرع ما ابتلع الخزف
شعلَ الخواتم الصغيرة
بينما لا يجرح شيء
برودةَ عَظْم الأمشاط
التي فيها طَيف من خذيكِ
جسد يستلقي
كما تدير الأحجار ظهرها للشمس:
جهتها الوحيدة.
بلا حركة
إلّا تلك التي يملأ بها نفسه
هاجع في مادّته

التي لا يزال يكوّنها من الداخل
حرير الشعر والكتفين
وسواد النواة.

سلالم

أسمعُ هذا الخلاء
الذي يصعد درجةً درجة
خلف الباب
وليس ما يحمله غالباً
سوى خطواتِ مفقودين
تلك ثرثرة السلالم
لم يعد أحد من هناك
بيد أن طرقَهم
تظلّ مأهولة دائماً
لقد بدّدوا دمهم
وليست لغتنا في الغالب
سوى من ذلك الدم الهَرِم.

الأيدي النائمة والأيدي الباردة

يتعرّى شعرُك وأطرافُ أصابعك
وربما ثوبك المنزوع في الزاوية
إنها مسوح الرغبة:
جورب مقشور إلى الكاحل
مرتبة من قشّ
عشر أصابع معقودة
الطرية بين اليابسة
لا موسيقى
لكنْ لطخة شاي على المنضدة
ورجم آذان الجمعة في حفرة المصعد
الأيدي النائمة فوق الأيدي الباردة
إنها تنهي صومها
دون أن تعود حيّة
ودون أن تقفل أزواجاً.

نعومة

تتعرّى الحليّة أيضاً
من معاشرة الذهب والخط
والزخارف
من البرودة والإغتسال
هذه النعومة الساهية

لمسةٌ على الفم

لمسةٌ على الفم
تقول سلاماً أو وداعاً
الجسد الخيل المفارق
كالحداء
كترجيع تلال ثلاث
مسحة على الفم
إشارة أو شمعة
لتضحية قادمة
لمكيدة
وربما لندم لا يزال ماضياً
بأنامل ساهِية
نقلتُ حركات كبيرة
على جسدك
بأصابع ملآنة
تتبّعتُ حول مسكبتك ونهديك
نداءات سفينة مهدّدة

نسمة

نسمة تقلب الأغصان الرطبة
على اليابسة
وربما تخلطها
ألشفاه تفعل ذلك أيضاً.

حلقة التذكارات

يبسق شَعْرُكِ
إنه يتعرّى وحده
تلك الحلقة تَليق بالتذكارات
وتلك الهمسة الأخيرة على الفم
التي كانت أيضاً
إشارة سكوت
إن لم تكن وداعاً
يسوّون الخصل المقصوصة
بدبابيس وأزهار
كما لو أنهم يسرّحون تمثالاً
تثابر لمحةالمقصّات على الخصل
وهذا العطر الحذر
الذي يسلك كسُمّ
حين يدفن أثره.

أديم

نكسر يدين وأربع شفاه
أنصت لأميّز
بين صوتين وعطرين
لأخلّص نفساً من آخر
حذراً من أن أكسف أديمكِ بزفيري
أقلب الأصابع الطرية على القاسية
هكذا تفعل الشفاه أيضاً
فمٌ بارد على فم نائم
جسدٌ يابس قليلاً
وكلّه من نواة واحدة.

بريد الحُبَيْبات

جسدٌ له تموّج البلّور
وماء الرخام
بدون قطرة
تثليث الناقوس دون صدى
ركبتان مضمومتان ورأسٌ مخفي:
درجتان أو ثلاث للظلّ
ركبتان مضمومتان ورأسك في العشب
اليد التي تلمّ حُبَيْبات البرْد
عن صدركِ
يتواصل بريدها في الخلف.

الرفيق للغائب

لم أُحسن أن أقلِّم من عينيك
غصناً لي
ولا من عروقك
عصاً لقلبي
لا تكونين لي كجفني
ولا أعرف أن أخفيك في راحتي
لا أكثر من أن يكون وجهانا
شقيقين
كعينين متجاورتين
ننظر لبعضنا
كالرفيق للغائب
أن نتبادل هذا الشبه النادر
بالشموع والأصابع
ولا أكثر من أن يشيع
فقرك وندامتك
في هذا الجسد
الذي فات أوان تسليمه.

نوم العصافير

إلى دلال حجّار

(١)

السنّ التي زرعناها في الحديقة
الريشة التي دفنّاها
خدوش أو أقلّ
وهذا الألم المتجدّد في أسناننا

بعد خفوتك نصغي إلى حجر الجبين البارد

نعرفهم من الحياة التي تدبّ في رضوضنا
والخدوش التي تتورّد باجتماعهم
الزيارة التي لا تدوم أكثر من ألم شعره.
بعد خفوتك نصغي إلى سكوت الأسنان
المغسولة وثقل الركبتين

أيتها الأحجار التي ليست خفيفة إلّا في نهايات
الصّيف.

(٢)

إنهم زوّار لأختي ودون أن نحترس إنكسفتْ
وسطهم

لنا هذا الفجر لنمضيه تحت جدائل الشقيقة
الأسَنّ.

تتجلّين للأبعدين وحدهم ولا حياة لهذا الرجاء
إلّا بنقله إلى قلب الغريب، لو مكثت أكثر من
هذا الصّيف

(٣)

أوّل خريف بعد ذهابك
أشعر بثقل أنفاس الشجرة
وركود تلك الساعة
التي تتململ فيها
مسامير السقف

حمل الشجرة يغطّي المدخل
إننا نأنس أكثر بهذا النهار
المبلّل بالرقاد
الذي سنمضيه بين أسمال السنة

أوّل خريف
ليس سوى الرائحة
والشجرة
وهم يصنّعون الدخان
في ظلّها.

ولا يزالون يصنّعون الدخان
ذلك العام الذي لا حراك فيه

حِمل شجرةٍ كامل

حِمل خريف كامل
على الأرض.

(٤)

دفنّا الصغيرة
في أعلى الشجرة
أو تحت جبال المطر
ربّما لم يحصل ذلك، ربما نسيناه
ولا نزال نودّع الصغيرة
تحت جبال المطر
أيتها الغريبة تحت نقابها.

(٥)

إنهم هناك
نصفُ أشقّاء
نصفُ موتى
ونصفُ أشجار أيضاً
يختلطون بعصافير من مرضِ الذاكرة
ولا شيء يرفع عنهم
لطخة أفكارنا

ثم هناك
الألم الذي يحجّر الرأس
الحنين الذي لا يشقّ طريقاً
أوسع من صداع
الخريف الأوّل للرضوض
والصمت الذي لا ينقصف
لسقوط شعرة

ولا نسمع بعد ذلك
سوى السنّ التي تنمو
في فم الصغيرة
والتي بخيط من دمها
تذكّر بنوم العصافير.

(٦)

لا دم على الثلج
ولا نور آخر
مع أن الحياة لم تكن كلّها أرقاً

المدينة تكتهلُ تحت مطرِ الخريف
الصحو محاها

تختفين أمام الشروق أيضاً

صيدا ١٩٨٩

المحتويات

٩ الغريب والمانيكان
٢٣ بريد الخطوات
٢٥ الصمت والدم
٢٧ صلاة الخيطان المهملة
٢٩ تقصّين رموشاً طويلة سوداء
٣١ شبر قلبي
٣٣ غرفة الحافّة
٣٥ زجاجات المشرق
٣٦ بريد الخطوات
٣٨ إمارة الشجرة
٤٠ محطات هروبهم
٤١ مشيت على نفسك
٤٢ خيط في كتاب
٤٣ الطالع
٤٤ بقشيش وذكريات
٤٥ غرف لحماقة واحدة
٤٦ أربع أصابع وشفاه جافة
٤٧ تفاح الغرباء
٤٩ اصغاء
٥١ الأجنبيّة
٥٣ جرح الزجاج
٥٦ عطر الطريق
٥٧ النواة
٥٩ سلالم

٦٠ الأيدي الناعمة والأيدي الباردة
٦١ نعومة
٦٢ لمسة على الفم
٦٣ نسمة
٦٤ حلقة التذكارات
٦٥ أديم
٦٦ بريد الحُبيبات
٦٧ الرفيق الغائب
٦٩ نوم العصافير

صدر للمؤلف

الوقت بجرعات كبيرة

دار الفارابي، ١٩٨٢

صور

توزيع مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٥

زوّار الشتوة الأولى

مسبوقاً بـ

صيد الأمثال

يليه

مدافن زجاجية

دار المطبوعات الشرقية، ١٩٨٥

نقد الألم

دار المطبوعات الشرقية، ١٩٨٧

خلاء هذا القدح

دار الجديد، ١٩٩٠

حجرات

دار الجديد، ١٩٩٢

طبع في بيروت، لبنان
١٨ كانون الأول ١٩٩٣

تصميم الغلاف: رشا سلطي